كتاب مُوقد الأذهان ومُوقظ الوسنان

في الألغاز النحويّة والنكت الأدبيّة لابن هشام

في خزانة كتب مسجد أحمد باشا الجزار في مدينة عكا وبضمن مجموعة صغيرة بالقطع الأصغر من الصغير طول الصفحة منها (١٧) سانتيمتراً وعرضها (١٠) سانتيمترات وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً وفي السطر الواحد من ست كلمات الى عشر كلمات كتيّب صغير الحجم بالاسم الذي عنونّا به هذه المقالة جاء في مقدمته وهو بخطّ احمد بن سليمان المفتي الشافعي نسخه في ٢١ ربيع الأول سنة ١١٨٨ هـ:

« بسم الله الرحمن الرحيم: قال الامام العلاّمة جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام رحمه الله تعالى أما بعد حمد الله الفاتح عقد الاعجاز المانح بالايجاز جاعل علم العربية في العلوم كالطراز فيه تفكّ مقفلات الألغاز ويتضح ما في التنزيل من الايجاز في وجه الاعجاز وصلاته على أفضل الأنبياء الذي أسكت بفصاحته الخطباء والشعراء والرّجاز وعلى آله وأصحابه الذين من ائتمّ بهم فقد فاز ».

فقد جمعت في هذه الأوراق البسيرة شذرة من الألغاز النحوية ونبذة من النكت الأدبية جعلتها لاستخراج الأحاجي عنواناً وعلى حلّ ما لم اذكره معواناً فالشيء يعرف بمثله والوابل يستدلّ عليه بطلّه والعذر في اختصاره أني جمعته فيما بين صلاتين وبمقدار ما ينظم الناظم بيتاً أو بيتين والله اسأل ان يرزقه من الحضرة الشريفة حظاً ويرمقه من الكريم لحظاً ورتبته على أربعة فصول: الأول في الأحاجي المعنوية، الثاني في الأحاجي اللفظية، الثالث في الاشارات الخفية، الرابع في التصحيفات اللوذعية وسميته موقد الأذهان وموقظ الوسنان والله اعتضد وعليه اعتمد ».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اعلم ان اللغز النحوي قسمان أحدهما ما يطلب به تفسير المعنى والآخر ما يطلب به تفسير وجه الاعراب» وجعل الفصل الأول فيما يراد به تفسير المعنى وأتى على تفصيل وتحليل ثلاثة عشر بيتاً استشهد بها .

ثم جاء الى الفصل الثاني في الألغاز اللفظية وهي التي يراد بها تغيير الاعراب وتوجيهه لا بيان المعاني . وأتى باثنين وعشرين بيتاً كشواهد وحللها وعللها .

ثم جاء الى الفصل الثالث في الاشارات الخفية التي لا يعقلها الا العالمون ولا يتنبه لموقفها الا المخلصون .

ثم جاء الى الفصل الرابع في التصحيفات اللوذعية فقال :

«أول من تكلم في ذلك عليّ رضي الله عنه فقال كُلُّ عِنَبُ الكَرْمِ تعطيه يريد كلّ عيب الكَرَم يُغطّيه .

وقال أيضاً :

ذكر في مجلس التصحيف فادّعى شاب حاضر معرفته فقيل له ما تصحيف نخبتني فقال تصحيف حسن فأتيم في سرعة جوابه . فقال شاعرٌ من بلنسية ما تصحيف بلنسية فقال أربعة أشهر فقال الشاعر صدق ظني انك تنتحل ما تقول وأي نسبة بين أربعة أشهر وبلنسية فقال الشاب :

عليٌّ نحت القوافي من معادنها وما عليٌّ اذا لم تفهم البقرُ

فتنبهوا بعد انصرافه فاذا أربعة أشهر ثلث سنة (أي تصحيف بلنسية) فخجلوا منه .

وكتب الى المعتمد بن عبّاد شخص من الاخوان :

واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

فوقّع في الكتاب وأين ذاك الواحد . صحّف تعرف . فلما قرأه طار سروراً لأن تصحيف أين ذاك أنت ذاك .

ومن ملح ابن عباد هذا في التصحيف انه خرج مع وزرائه بالشبيلية فاجتازوا في الموضع الذي يُباع فيه الخبز والجبن فألفوا هناك جارية من أحسن الناس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجهاً وأكثرهم بذاءة وفحشاً وتبرجاً فابتدأ علي بن عمار وقال الخبازين فقالت نعم والجبانين فلم يعرف الحاضرون ما أرادا

فسألوا ابن عمار فقال « إنه قال الخبازين وقالت الخلنا شين فأين هذه الأذهان »

تعريف علم الألغاز

أما علم الألغاز فقد عرّفه ملاّ كاتب چلبي الشهير بحاجي خليفة أيضاً في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون فقال في « ج ١ ص ١٣٨ طبعة الأستانة » :

هو علم يتعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة بل تستحسنها وتنشرح اليها بشرط ان يكون المراد من الألفاظ الذوات الموجودة في الخارج . وبهذا يفترق من المعمّى . لأنّ المراد من الألفاظ اسم شيء من الانسان وغيره وهو من فروع علم البيان . لأن المعتبر فيه وضوح الدلالة . والغرض فيهما الاخفاء وستر المراد .

ولما كان ارادة الاخفاء على وجه الندرة عند امتحان الأذهان لم يلتفت اليها البلغاء حتى لم يعدوهما أيضاً من الصنائع البديعية التي يبحث فيها عن الحسن العَرَضي ثم هذا المدلول الخفي ان لم يكن ألفاظاً وحروفاً بلا قصد دلالتهما على معان أخر بل ذوات موجودة يسمى اللغز وان كان الفاظاً وحروفاً دالة على معان مقصودة يسمى معمّى . وبهذا يعلم ان اللفظ الواحد يمكن ان يكون معمىً ولغزاً باعتبارين لأن المدلول اذا كان ألفاظاً فان قصد بها معان أخر يكون معمّى وان قصد ذوات الحروف على أنها من الذات يكون لغزاً وأكثر مبادي هذين العلمين مأخوذ من تتبّع كلام الملغزين وأصحاب المعمى وبعضها أمور تخييلية تعتبرها الأذواق ومسائلها راجعة الى المناسبة الذوقية بين الدالّ والمدلول الخفيّ على وجه يقبلها الذهن السليم . ومنفعتها تقويم الأذهان وتشحيذها . اهـ .

بيد ان كشف الظنون لم يذكر كتاب موقد الأذهان وموقظ الوسنان المبحوث عنه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة في دور الكتب بالقاهرة وباريز وبرلين .

نبذة في الألغاز والأحاجي

ويظهر أن ناسخ الكتيّب راقه الموضوع فألحق به نبذة في الألغاز والأحاجي قال انه جمعها من كلام الفضلاء ونظام النبلاء .

وبدأ هذه النبذة بنقل ما ذكره ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده تحت عنوان « ومن اللحن والحاجاة » :

حلّوا عن الناقةِ الحمراء أرحلكم والبازل الأصهب المفعول[1] فاصطنعوا
ان الذئاب قد اخضرّت براثنها والناس كلهمُ كبرٌ[1] اذا شبعوا

ونقل عنه أيضاً هذا البيت :

أحاجيك عيّاد كزينب في الورى ولم تؤتَ الاّ من صديقٍ وصاحبِ

وجوابه :

سأكتم حتى ما تحسّ مدامعي بما انهلّ منها من دموعي السواكبِ

وجاء ناسخ الكتاب الى المتأخرين فقال :

كتب الشيخ شمس الدين محمد بن داود المقدمي للشيخ حسن البُوريني ملغزاً في وَرْدٍ وذلك سنة ٩٨٦ ونقل السؤال مع الجواب نظماً من الرويّ والقافية نفسها وزاد البوريني في الجواب فكتب للمقدمي ملغزاً في عِقْد فأجابه الثاني على سؤاله هذا .

ثم قال الناسخ : كتب الشيخ الفاضل شمس الدين محمد المغربي المالكي نائب الحكم بدمشق الى الشيخ حسن البوريني المتقدّم ذكره ملغزاً في شام ونقل القصيدة وترى أن نشير الى ما قصدَ السائل بنقل بعض أبياته :

ماذا تقول بلفظٍ عدّ أحرفه ثلاثة يا اماماً حاز عرفانا
اسم لمُدنٍ بأفضال لقد شهرت معروفة نزلت يا صاح قرآنا

(١) كذا في الأصل ورواية الأمالي : المقول ، بكرٌ (المجمع)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقلبها بعض قوت الأنام يرى وثلثها فعل أمر بعضه بانا
وان تزله بقى ما للأنام غنىً عنه وتلقاه بين الناس طوفانا
وان تُصحّف ترى أصلاً لذي عددٍ وفرعاً كيف ذا كانا (؟)

ويظهر انه سقطت كلمة من عجز البيت الأخير فانه غير مستقيم الوزن .

فأجابه البوريني بقصيدة جاء فيها :

وشام طرفي بريق اللغز متضحاً وأعلنته زناد الفكر اعلانا
هو اسم بلدتنا أعني دمشق وقد يجيء فعلاً مبيناً الذي كانا

وقال الناسخ أيضاً :

كتب الشيخ شمس الدين بن المنقار الحنفي الى الشيخ شمس الدين محمد الصالحي الهلالي ملغزاً في « أمس » فأجابه وكتب شمس الدين محمد الصالحي الى شمس الدين ابن المنقار الحنفي ملغزاً في اسم زينب سنة ٩٧٧ هـ فأجابه وكتب بعضهم ملغزاً في يراع ثم نقل جواب المجيب المجهول ويظهر أن السائل يدعى محمداً فقد جاء في ختام القصيدة الجوابية هذه الأبيات :

محمد السامي الجناب ومن غدا له كرم الأخلاق دون التكرّم
همام لقد أضحت مآثر فضله على جبهة الدنيا كغرّة أدهم
ومولىً اذا ضنّ السحاب بوبله علينا سقانا مسجماً بعد مسجم
له سؤدد حلّ السماكين رفعةً وذلك إرث فيه من عهد آدم

ثم أورد بعض ألغاز وقال فأجاب الطبرانيّ ولم نعرف اسم هذا الطبراني الذي يجب ان يكون من طبرية بفلسطين لأن الطبرانيّ ينسب اليها كما ينسب الطبريّ الى طبرستان . ثم قال :

وكتب الى الملا أسد بن معين الدين التبريزي المدرّس في المدرسة الناصرية البرانية بدمشق المحميّة ملغزاً في أسد ولم نعرف من الذي كتب فأجابه التبريزي بما يجب . وقال أيضاً :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكتب بعضهم للعلامة عماد الدين ملغزاً في قدح فأجابه ولم يتسنّ لنا معرفة عماد الدين هذا ولعله كان من معاصري الناسخ ٠

وقال بعضهم ملغزاً في مكّوك الحائك ثم جوابه وقال بعضهم محاجياً في عنوان وأورد سؤالاً يتضمن الفرق بين (غداً وأمس) أرسل الى التبريزي المتقدم ذكره فأجاب عليه شعراً كالسؤال ولكنه أردفه بهذه العبارة :

« الحمد لله وكفى وسلامه على عباده الذين اصطفى ٠ وبعد فيقول الفقير الى الله الغني أسد بن معين الدين الشافعي جعل الله غده خيراً من يومه وأمسه ورحمه عند مواراته في رمسه ان الذي سنح في خاطري في الجواب من غير مراجعة رسالة ولا كتاب ان غداً ليس مثل أمس حتى يلزمه حكمه في البناء لأن أمس كلمة على ثلاثة أحرف فبناه أهل الحجاز على الكسر اذا أريد به اليوم الذي قبل يومك لتضمنه الألف واللام وليس كذلك (غداً) لأن غداً لامه محذوفة والدال عين الكلمة كيد ودم فلو بني لزمه العدول عن الأصل مرّتين مرّة من جهة حذف لامه ومرّة من جهة بنائه لأن البناء في الاسماء على خلاف الأصل ٠ والعدول عن الأصل مرّتين في الكلمة الواحدة اجحاف لها ٠ وهذا قريب من قولهم في بعض الكلمات مثلاً حتى لا يتوالى في الكلمة الواحدة إعلالان وقولي انّ لامه محذوفة نصّ عليه غير واحد من أعلام العلماء حتى ان الشيخ الامام ابا عمرو عثمان الشهير بابن الحاجب بنى عليه جوابه عن اللغز المشهور وهو قوله :

ربما عالج القوافي رجال تلتوي تارة لهم وتلينُ
طاوعتهم عينٌ وعينٌ وعينٌ وعصتهم نونٌ ونونٌ ونونُ ٠ اهـ ٠

وبعدُ فقد قصدنا بنقل بعض هذه الألغاز الاشارة الى بعض العلماء المعاصرين للزمن الذي كُتبت فيه المجموعة وربما كان بينهم من لم يترجم له أو يشتهر أمره وبحسبنا ذلك عذراً ٠

عبد الله مخلص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net